المحاضرة رقم 04 رواد الأنثروبولوجيا الإقتصادية –الرعيل الأول-

قبل الحديث عن رواد الأنثروبولوجيا الاقتصادية ، ارتأينا الحديث ولو قليلا عن المؤسسين الأوائل، حيث يجمع العديد من الباحثين أن جذور الأنثروبولوجيا الاقتصادية تمتد إلى القرن الثامن عشر، وبدأ الاهتمام الفعلي بمسائل الحياة الاقتصادية من زاوية اجتماعية وأنثروبولوجية قد بدأ مع نهاية القرن التاسع عشر، ويذكر فيرث أن الاهتمام بالأنثروبولوجيا الاقتصادية قد بدأ يتزايد خصوصا في ما تناولته الكتابات الألمانية من خلال أعمال فيلهلم كوبر، وماكس شبيت، وهيرمنت، وفون فالتر هاوسن، وخصوصا أعمال ريتشارد فورنفالد :" R.Thurnwald " حيث أنجز أعمالا نظرية ضخمة موظفا وبصورة علمية معطيات النظرية الاقتصادية التي طورتها مدرسة التاريخ الاقتصادي في ألمانيا عن اقتصاديات المجتمع البدائي. وسنتعرض من خلال المحاضرة لبعض الرواد، وهذا لا يعني أننا قمنا بمسح شامل، فعددهم كثير، وانما سنتطرق لأشهرهم.

1- فرانس بواس

ولد فرانز بواس عام 1858 في ميندن "Minden " بألمانيا درس في العديد من الجامعات الألمانية، كان قد تخصص في الرياضيات والفيزياء، بعد حصوله على شهادة الدكتوراه ارتحل إلى الشمال الكندي حيث كان مولعا بالجغرافيا وكانت تحدوه الرغبة في رؤية العالم، وكذلك البحث في مسألة تأثير البيئة على نمط حياة وتفكير الشعوب المحلية وكان ذلك في الفترة الممتدة بين 1883-1884، وصل الى أرض" بافانBaffin " وعاش بين الاسكيمو في منطقتهم الوسطى، وتبين له لاحقا من خلال مشاهداته الميدانية أن التاريخ واللغة والثقافة له دور أساسي يفوق العامل الايكولوجي أو الطبيعي في صناعة الحياة

الثقافية ويقر بواس أن الوهم الذي كان مسيطرا لديه بتفوق العامل الأيكولوجي في تدبير الحياة الثقافية لدى البشر قد زال بعد رحلته الى بلاد الاسكيمو.(1)

وكانت دراسة فرانس بواس للاسكيمو قد تمت خلال الفترة من أغسطس 1883وحتى أغسطس 1884 بتمويل من إحدى الصحف الألمانية على أساس أن يوافيها بواس بمقالات عن رحلته، وكان هدف الدراسة كما حدده بواس هو التعرف على مدى ارتباط هجرات الاسكيمو الحاليين بالطبيعة الفيزيقية للأرض وتضاريسها، وبمعنى آخر العلاقة بين إدراك الاسكيمو لجغرافية الموطن الذي يعيشون في نطاقه وبين أنماط تحركهم عبر هذا الموطن.(2)

وبعد سنوات قليلة وتحديدا عام 1888 نشر فرانس بواس دراسته في كتاب تحت عنوان The Center Eskimo حيث برز جليا اهتماماته الخاصة بابراز المحددات المميزة لثقافة الاسكيمو من حيث مورفولوجيا المكان الذي تتوزع وتنتشر به القبائل، وأساليب ووسائل الصيد، وكيفيات وأشكال بناء المساكن، وكيفيات وطرائق التنقل، وممارسة التجارة، ومكونات وعناصر و خصوصيات الحياة الاجتماعية والممارسات الدينية، والوسائل التكنولوجية المتاحة لديهم، اضافة الى المظاهر الفلكلورية التي يتميزون بها.

ويذكر فرانس بواس أنه قبل رحلته إلى " بافنلاند" قام بدراسة المؤلفات التي كتبت عن المنطقة، وكذلك لغة الأهالي حتى يتحدث معهم دون مترجم، وقد ألحق بنهاية كتابه قائم تحتوي على الكلمات المكتوبة بلغة الاسكيمو ومعناها بالانجليزية، ويشير أيضا الى أنه زار المستوطنات الموجودة في منطقة البحث، واختلط بالأهالي ملاحظا كل ما يتصل بحياتهم الاجتماعية، كما استفاد من وجود كبار السن في التعرف على النواحي التاريخية، وتحدث أيضا عن الصعاب

---

[1]- **Pierre Bonte et Michel Lzard,Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie,puf,France**

[2] - فتحية محمد ابراهيم، وآخر: مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان" الأنثروبولوجي

التي واجهته وخاصة بالنسبة للبرودة الشديدة التي كانت تصل الى 45 درجة مئوية تحت الصفر، وفي عمليات الانتقال من مكان لآخر وفي توفير المواد الغذائية. (3)

وكان ستوكنج G.Stocking قد نشر في دراسة له عام 1965 عن بواس نصوصا من رسائل له سابقة على قيامه بالرحلة، وورد في إحداها هذه العبارات التي تعبر عن خطته في البحث:" سوف تدور الدراسة العامة حول معرفة السكان بالجغرافيا المحلية، ثم تتلوها دراسة سيكولوجية حول أسباب عدم انتشارهم، وهي التي ستمثل نقطة البدء في معالجة العديد من التساؤلات السكوفيزيقية، وبالطبع سوف أحقق خلال هذه الرحلة كثيرا من الأهداف كرسم الخرائط الجغرافية، وجمع العينات النباتية والحيوانية، واجراء البحوث الاثنوغرافية والأنثروبولوجية وغير ذلك ، ولكني سأضع دائما نصب عيني الهدف الرئيسي من الدراسة."(4)

لقد شهدت الممارسة الأنثروبولوجية مع فرانس بواس منعطفا حقيقيا، فقد كان بواس رجل ميدان، كانت التحقيقات البحثية التي أجراها ابتداء من السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر رائدة خاصة بين قبائل كواكيوتل Kwakutil والشينوك Chinook من كولومبيا البريطانية، وأخضعها لوجهة نظر يمكن وصفها اليوم بأنها ميكرو–سوسيولوجية.

ومن أبرز ما توصل اليه فرانز بواز من خلال دراساته هو أن ظاهرة "صراع الثروة"«Lutte de la générosité» يندرج ضمن جوهر العملية الاقتصادية"، وأطلق عليها مصطلح "صراع السخاء "، إذ أن القوي هو من له قدرة منح وإعطاء أكبر قدر من الثروة، وغالبا ما يطبع الظواهر الاحتفالية عملية تنافسية حادة يصبح فيه العرض موضع رهان داخل المجتمع، وتقام حفلات البوتلاتش في أوقات محددة وهامة خصوصا أثناء التنافس من أجل إحراز مكانة جديدة، وتسمى هذه الاحتفالات بطقوس العبور Les rites de»

[3] - علي إسلام الفار: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب

[4] - Stocking,G .From physics to ethnology,1965,p264 p264 نقلا عن فتحية محمد ابراهيم، وآخر: مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان" الأنثروبولوجيا

«passage تقام هذه الطقوس أيضا عند محاولات التحدي في فعل العطاء مما تنتج عنه منافسة قوية قد تؤدي الى وجود صراعات بين الأفراد أو الجماعات تعبيرا عن المكانة ، كما تزداد حدة أثناء اتفاقيات السلام وإنهاء الصراعات.

2-مالينوفسكي

ولد مالينوفسكي في كراكوفيا " بولونيا Pologne " عام 1884، كان أبوه لوسيان مالينوفسكي وهو أحد علماء الفيلولوجيا المشهورين في بولندا خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكان مالينوفسكي الابن قد أتم تعليمه الجامعي، ثم واصل الدراسات العليا، الى أن تحصل على درجة الدكتوراه في فلسفة الرياضيات والفيزياء بمرتبة الشرف. عام 1908، كان موضوع أطروحته حول :" النزعة الوضعية عند الفيزيائي والفيلسوف النمساوي المشهور ماخ L. MachK هذا الأخير الذي كان يمثل الأب الروحي لألبرت اينشتاين A.Einstein إضافة إلى أصله البولوني عاش مالينوفسكي في المانيا وتلقى جزءا من تكوينه العلمي، كما خط مسيرته المهنية والعلمية بانكلترا ثم الولايات المتحدة الأمريكية حيث كان استقراره إلى أن توفي في نيوهافن عام 1942.(5) وكان موضوع بحثه في هذه السنوات الأخيرة من حياته حول التغير الاجتماعي لدى الفلاحين الهنود في المكسيك.

ثم جاء إسهام مالينوفسكي في كتابه الرائع les Argonautes du pacifique occidental.

Argonauts of the western pacific الذي نشر عام 1922 وهنا فقد أبرز عدد كبير من العلماء المكانة الكبيرة التي تحتلها دراسة مالينوفسكي في الأرجونوتس واعتبروه أول من كتب كتابة حقيقية في الأنثروبولوجيا الاقتصادية وأنه رائد الأنثروبولوجيا الاقتصادية الحقيقي.

[5] - **Pierre Bonte et Michel Lzard,Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie**

وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها مالينوفسكي في دراسته للاقتصاد التروبرياندي هو وجود نمطين لما سماه:" العمل بشكل مشترك" وهذين النمطين هما[6]:

- العمل المشترك بمعناه الفعلي الذي يضم فريقا من الناس يقومون بانجاز مهام واحدة، لا اختصاص فيها، لكنها تمتاز بأنها ترفع مردودية العمل نظرا لما تشيعه بين أفراد الفر يق الواحد من مزاحمة وتنافس، وهذه ممارسة شائعة وعامة نجدها بشكل خاص في نطاق العمل على استصلاح الحقول والأراضي.
- النمط الثاني هو العمل المنظَم الذي يثوم على تعاون عناصر مختلفة من الناحية المجتمعية والاقتصادية، أي أنه يتصف بتقسيم العمل وتمايز الوظائف، وبناء الزورق في الجزر التروبريايندية خير مثال على هذا النمط من العمل، إذ أنه يتطلب تضافر جهود أناس مختصين بمهام مختلفة.

3- <u>مارسيل موس</u>

هو مارسيل موس عالم اجتماع وأنثروبولوجي فرنسي، ولد في ايبينال "Epinal"عام 1872ينتمي لعائلة يهودية حاخامية، درس الفلسفة في جامعة بوردو حيث كان خاله ايميل دوركهايم يحوز كرسي تعليم التربية وعلم الاجتماع منذ 1887. كان لفكر ايميل دوركهايم تأثير كبير على مارسيل موس، وكذلك تأثر بأعمال الفيلسوف العقلاني هاملين حيث أخذ منه فكرة بأن كل تصور أو تمثل هو في الأساس علاقة تبرز من خلال اتحاد ثنوية الأضداد، وأخذ من أ.سبيناس ذو لاتجاه الامبريقي التركيز بالبحث عن القواعد و منطقيات العمل البشري ومبادئ تحكم علم العادات.(7)

على خلاف دوركايم وعدد معتبر من أصدقائه وزملائه ومعاونيه في مجلة " حولية علم الاجتماع "L'Année sociologique" لم يكن موس طالبا في دار المعلمين، شارك موس في تحرير مجلة L'Année sociologique" منذ تأسيسها عام 1898* كان دوركايم هو من أسس هذه المجلة ورئيس تحريرها حققت استمرارية الصدور حتى العام 1925 حيث توقفت عن

[6] - جاك لومبار: مدخل إلى الاثنولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي،

[7]-Pierre Bonte et Michel Lzard,Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie,puf,France,1991

الصدور حتى العام 1934 اين عاودت الصدور واستمرت حتى العام 1942تحت مسمى جديد Annales Sociologiqueثم توقفت سنوات الحرب العالمية، لتعود بعد الحرب العالمية الثانية تحت مسمى L'Année sociologique وهي لا تزال بهذا الاسم الى أيامنا هذه.، ورغم حيازته للإجازة في الفلسفة فانه كان قد رفض أن يكون مدرسا في بوردو ، وأقام في باريس ومن خلال اطلاعه على أعمال جيمس فريزر، وادوارد برينت تايلور اكتسب مبادئ الأنثروبولوجيا، كما اهتم بدراسة اللغة السنسكريتية والألسنية الهندو–أوربية المقارنة وتاريخ الأديان، وفي عام 1901 عين موس خلفا ل. ماريلييه كأستاذ ل:" تاريخ ديانات الشعوب غير المتحضرة" بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا" الفرع الخامس"

والى جانب مالينوفسكي في التقعيد والتأسيس للأنثروبولوجيا الاقتصادية نجد إسهامات مارسيل موس الأنثروبولوجي الفرنسي في هذا السياق حيث إن أحد المفاهيم الكبرى التي اخترعها مارسيل موس هو:" الظاهرة الاجتماعية الكلية" وقوامه اندماج مختلف الجوانب " البيولوجية، الاقتصادية، القانونية، التاريخية، الدينية، الجمالية..." المكونة لحقيقة اجتماعية ما وضرورة إدراكها في كليتها، ولفهم ظاهرة اجتماعية كلية يجب الإحاطة بها كليا وهذا يعني تناولها من الخارج وكأنها شيء، ولكن كذلك من الداخل وكأنها واقع معيش، أي فهمها بالتناوب مثلما يدركها الملاحظ الخارجي عنها ولكن كذلك كما يحياها الفاعلون الاجتماعيون، ومن الناحية المنهجية يبتعد موس عن دوركايم في اشتراط ترك مسافة بين الذات والموضوع ويقترب من الممارسة الاثنوغرافية لمالينوفسكي، ومن خلال مقالته حول "الهبة" **مقال حول الهبة Essai sur le don** 1923 مقارنة ب:" مغامرو غرب المحيط الهادي"1922 واكتشاف مالينوفسكي لنظام:"الكولا" يعمل موس على تفسير وصياغة الكولا وينتقل موس من خلالها من تصور عملية التبادل الرمزي المعمم ويشرع في استخلاص وجود قوانين المبادلة والمقابلة، والاتصال اللذين هما من أخص خصائص الثقافة.[8]

[8] - فرانسوا لابلانتين: مفاتيح الأنثروبولوجيا،

باختصار على ركز مالينوفسكي ومارسيل موس من خلال أعمالهم الأنثروبولوجية حول طبيعة المعاملة بالمثل بوصفها بديلا للتبادل السوقي. وتركز الأنثروبولوجيا الاقتصادية على دراسة أفعال التبادل و التجارة. وبالمقابل نجد أن أصحاب الاقتصاد السياسي :" المدرسة الماركسية" يركزون على الإنتاج.